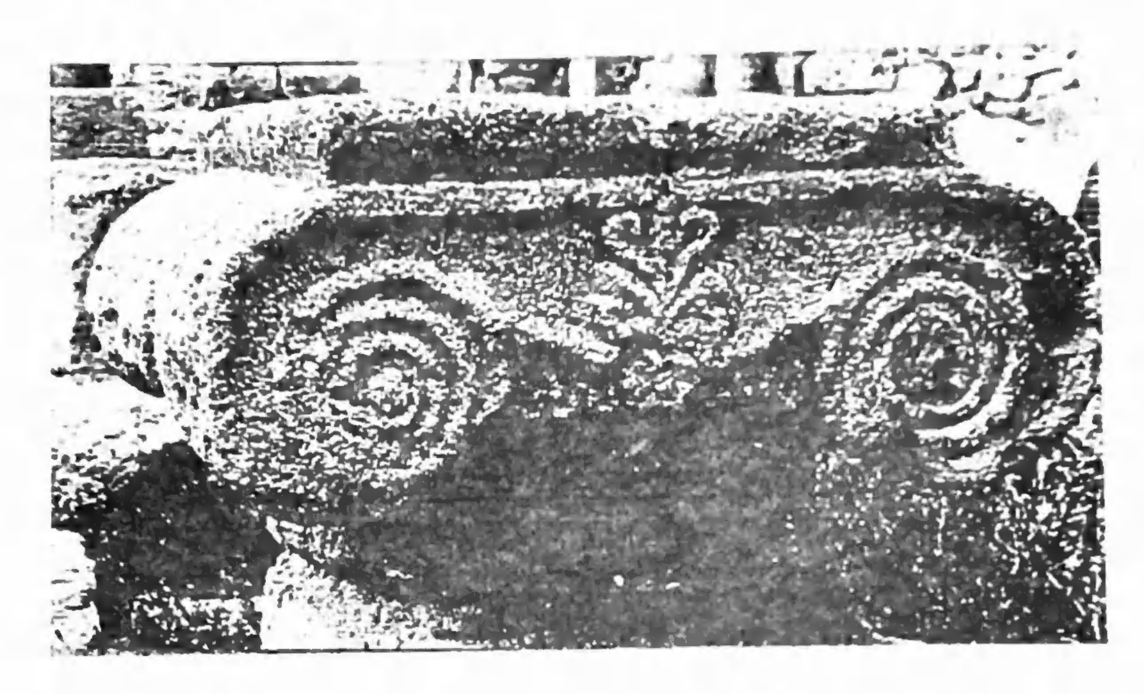
مواد البناء في اقليم طرابلس في العصر الفينيقي

محمد مصطفى فارس



لوحة (1) تاج عمود من رواق خلف الخلكيد بلون من الحجر الرملي

في وقت ما من النصف الاول من الالف الاول ق م وصل الفينيقيون الى سواحل شمال افريقيا التي تكون سواحل اقليم طرابلس جزءا منها .(1) كان الفينيقيون شعبا نشطاً اضطرته ظروف بلاده الى ركوب البحر فاتجه غربا وشمالا وجنوبا واشتغل بالتجارة البحرية . وزع الفينيقيون بضائعهم بين الشعوب التي كانت تسكن سواحل البحر المتوسط ومن بينها سواحل اقليم طرابلس . اتصلوا بسكان هذه السواحل واقاموا معها علاقات تجارية سرعان ماأصبحت علاقات دائمة نتج عنها تأسيس مراكز تجارية وهذه تطورت الى مستوطنات دائمة تجارية لعبت دورا هاما في تجارة البحر المتوسط وفي ضم اراضي افريقيا الشمالية الى حظيرة العالم المتحضر .

من السهل ان تقيم مجموعة من الناس في مكان معين اقامة مؤقتة اما ان تستمر الاقامة لتصبح استيطانا دائما فهذا يتطلب بناء اماكن للاقامة الدائمة واول مايفكر فيه البناء هو مدى توفر المادة الصالحة لاستخدامها في البناء وقربها او بعدها عن مكان الاقامة . وبالنسبة للفينيقيين الذين اقاموا مستوطناتهم على طول سواحل شمال افريقيا فأن الحجارة الصلبة الصالحة للبناء كانت متوفرة الا ان نحت المقابر داخل هذه الحجارة ربما كان اكثر اهمية من بناء البيوت بل ان امكانية نحت المقابر في الحجارة ربما كان احد شروط اقامتهم في مراحلها الاولى .(2) وعلى ذلك فأن المستوطنات الفينيقية التي اقيمت على سواحل اقليم طرابلس قد قامت في مناطق تميزت بوفرة حجارة صالحة لهذا الغرض وهو ماأكدته الكشوف الاثرية في مناطق كثيرة من المناطق الساحلية حيث انتشرت المقابر الفينيقية المنحوتة في الحجر(3)

(1) حدد البعض نهاية القرن السابع ق م كبداية للاستقرار الفينيقي في منطقة لبدة بينما تأسست مدينة صبراتة في تاريخ لاحق انظر A. Di Vita, les Emporia de Tripolit aina dans le Royeuueneut de Carthage et el 'Alexandrie, Libya in History, Univer. of Libya (1968) P. 174.

(2) D. Harden, The phoenicians, pelican (1971) P. 33.

ليس من السهل ان نتكلم عن مواد البناء التى استخدمها الفينيقيون فى بناء مدنهم ومستوطناتهم فى اقليم طرابلس فى الفترة السابقة على العصر الرومانى لقلة الاثار التى ترجع الى هذه الفترة اما لضعف المادة المستخدمة فى بنائها مما ساعد على زوالها واما لقيام المبانى الضخمة من الحجرة الجيرى والجرانيت والمواد المشابهة لها فى فنونها والتى ترجع الى العصر الرومانى . اقيمت هذه المبانى على انقاض المبانى السابقة لها فغطتها ومنعت الاثريين من الوصول الى بقاياها وما عثر عليه من آثار العصر الفينيقى كان بطريق الصدفة وهو قليل ومبعثر على طول سواحل اقليم طرابلس مما يجعل مهمة الدارس صعبة سواء فى دراستها او فى الوصول بشأنها الى الاستنتاج القريب من الحقيقة .

اشرنا الى ان الاقامة الدائمة بالنسبة للفينيقين تطلبت وجود تكوينات صلبة يمكن نحت المقابر داخلها وهى بدورها مواد بناء استخدمها الفينيقيون فى البناء وآثار المدن القديمة فى الاقليم تؤكد ذلك فما كان يمكن ان تقوم مدينة لبدة بدون توفر الحجر الرملى والحجر الجيرى[4] وان تقوم مدينة صبراتة بدون توفر الحجر الرملى .[5]

وتهدف هذه الدراسة الى معرفة الى اى مدى تمكن الفينيقيون من استخدام هذه المواد فى البناء .

من الطبيعى ان الفينيقيين عندما بدأوا فى بناء اماكن لاقامتهم قد استخدموا مافى متناول ايديهم من مواد . وقد اشار الاثريون الى مايعتقد انه اقدم مبانيهم وهى عبارة عن اساسات حجرية لمبانى ترجع الى فترة مابعد القرن الخامس ق م وتقع بين ساحة السوق والبناء فى مدينة صبراتة وقد بنيت فوق هذه الاساسات جدران من الآجر[6] . يشيرون ايضا الى اساسات اخرى نحت المعبد الانطونيني ترجع الى القرن الثالث ق م وقد وصفت بأنها غير منتظمة ومبنية بحجارة غير منتظمة .[7] وفى منطقة مصراتة عثر الاثريون على بقايا حائط من الآجر يعود الى القرن الثالث او الثانى ق م[8] من المحتمل ان هذه المنشآت المعمارية ترجع الى فترة واحدة وهى فترة بداية الاستيطان الفينيقى فى هذه المناطق .[9]

يبدو من استخدام الفينيقيين للطين فى البناء فى تلك الفترة انهم لم يستخرجوا الاحجار من المحاجر بل ربما التقطوا الاحجار التقاطا لتقوية اساسات المبانى فقط الا ان التطور الطبيعى لابد ان يوجههم فيما بعد لقطعها من المحاجر حسب تطور فن البناء عندهم .

لم يعثر على اى اثر لمبنى يرجع الى العصر الفينيقى خارج مدينتى لبدة وصبراتة فيما عدا القبور الفينيقية المنحوتة تحت الارض والمنتشرة فى بعض الاماكن على سواحل الاقليم[10] الا ان استخدام الفينيقيين لقوالب الطين (الآجر) يوجه اهتماما الى نوع من المبانى بنيت من حجارة صغيرة او من الطين المضغوط بين حائطين من الاحجار الاكبر حجما وقد عثر على آثارها فى مزارع المنطقة الجبلية[11] واعتبرها البعض متأثرة بتقاليد من البناء الفينيقية[12] . وهكذا يكون الطين احد المواد التى استخدمها الفينيقيون فى البناء وقلدهم الوطنيون فى ذلك فانتشرت طريقة البناء الفينيقية فى المنطقة واستمرت حتى العصر الرومانى .

وهكذا لكى نعرف مواد البناء التى استخدمها

(3) A. Di Vita, L. Brecciaroli Taborelli, Le Necropdi di Sabratha, Onnali della Facolta di lettere e Filosofia, Umis. di Maceata VIII (1975) P. 12; S. aunig emuna, un Sepolereto punieo Ran ane reporto and Man ographs Of the Dept. Of antiquities ib Tripolitania No 4 (1958) P. 65; A, M. Bisi, Scaperta di due tamhe puniche a Mallita (Salratha); Libya Antiqua (L.A.), annal of the Dept. of Antiq. of Libya, VI-VII (1969-1970) P. 189-228; Di Vita, Bab ben Gascir ed ex ria Maugini Camhe puniche, suppl. II, L. A. p. 77-78; G. Caputo, Leptis Magna, Scoperte nella necoropoli punica, Fasti Archealegici (F. A.) Annual bullettin of Claniceal archaeology, III (1950) p. 332 No 3483;
عيسى سالم الاسود ، مقبرة المابة البونيقية فى منطقة جنزور بطرابلس الغرب د مجلة ليبيا القديمة . المجلدات الثالث والرابع (1966-67) ص 43؛
Archaeolagical News, L. A. XI-XII (1974-75) 298.

(4) Cesare Chiesa, Sui Materiali da castruziore di provenieuza locale usati dagli autichi in Tripolitania, refaste and Man agrapho of the Dept. of autiqa,iu Tripolitania a, october (1949) 3-4.

(5) يظهر من الآثار ان الحجر الرملى كان يمثل اساس البناء فى مدينة صبراتة طوال العصر الرومانى حيث تظهر اعمدة الحجر الرملى المغطاة بمادة الجبس انظر : D. E. L. Haynes Anyiquitis of Tripalitauia, an archaeol. and Historical guide, Antiquities Dept. of Tripoli. (1989) p. 107 Sq.; C. Cbiesa, op. cit., p. 5.

(6) J. B. Ward-perkino, Salratha (Tripolitauia) F. A. VI, (1953) p. 37i No 4877.

(7) R. Bartoceini, tempio autoniniauo di Sahratha L. A. I (1964) 30, 31.

(8) O. Brogan, The Northern Coast of Massa Jezira, Ronnd and ahant Misurta, SLSAR, VI (1974-75) 51.

(10) انظر الحاشية رقم 3 .

(11) D. Oates, The Trifalitauiau Gebel, Settlenent of The Roman period araund Gasr Ed-Oaunu, PBSR, Vol. XXI (Nes Series) 1953, p. 85.

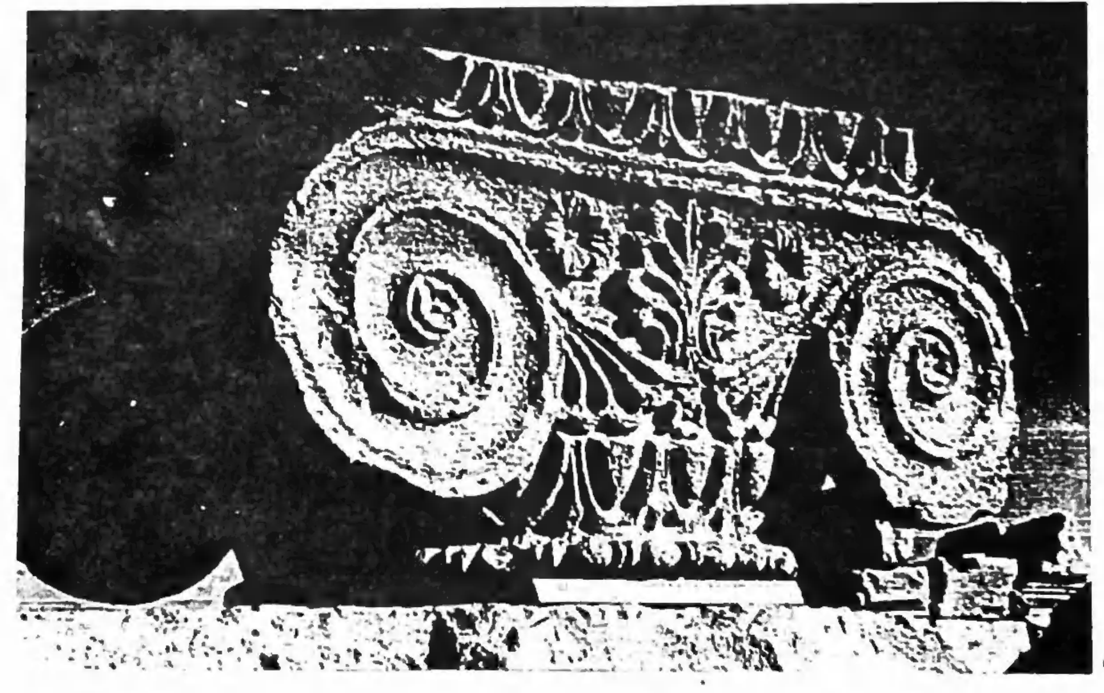
(12) A. Di Vita, «lcines» romane di Trifolitauia rella rua Cancretezza archeoligi ca e nella sua realta storica, L. A. I (1964)

الفينيقيون بعد استقرارهم فى الاقليم علينا ان نبحث عن اثارهم فى المدن التى اقاموها . وهنا تواجهنا مشكلة التعرف على مابقى من هذه الآثار وسط الكم الكبير من آثار المبانى التى ترجع الى العصر الرومانى . من المحتمل ان الحجر الرملى كان مادة البناء الاولى بعد الطين كانت فى متناول الفينقيين فى مدينة لبدة وقد سبقت الاشارة الى وجوده فى المكان .[13] ومن الطبيعى ان يستعمل الفينيقيون اقرب مصدر للحجر الرملى من اقدم مكان استوطنوه فى المدينة .

لقد اقيم مسرح مدينة لبدة على ربوة من الحجر الرملى[14] الا اننا لانعرف ماإذا كان الفينيقيون قد استغلوا احجاره فى البناء بالرغم من انهم قد حفروا مقابرهم فى تلك المنطقة وفى مكان يقع تحت خشبة المسرح منذ اواخر القرن السادس ق م[15] . واشار البعض الى مقلع للحجر الرملى استخدم فيما بعد اساس لبناء المسرح الدائرى The Amphitheatre[16] الذى يقع فى موقع يعتبر خارج المدينة الفينيقية وقد يكون الفينيقيون قد استغلوه ولكننا لانملك دليلا على ذلك .

وفى مدينة صبراتة نجد الحجر الرملى ليس له من القوة والصلابة مايجعله قادرا على البقاء لمدة طويلة وهذا ما يفسر قلة الآثار الباقية من العصر الفينيقى .

بنيت اقدم الآثار الرومانية الباقية فى مدينة لبدة فى الغالب من الحجر الجيرى[17] وهى آثار لمنشآت ربما ترجع الى اواخر القرن الاول ق م وبداية القرن الاول الميلادى[18] وتتركز فى منطقة قريبة نسبيا من ساحة السوق القديمة Forum Vetas وبنيت آثار مدينة صبراتة الرومانية كما ذكرنا من الحجر الرملى . ومن الطبيعى ان يكون اقدمها قريبا من ساحة السوق الا انها اندثرت لاعتمادها على الحجر الرملى[19] وهكذا يصبح اختفاء الآثار الفينيقية فى المدينتين امرا طبيعيا لنفس السبب وتبقى المشكلة قائمة . بنيت المنشآت المذكورة فى مدينة لبدة فى معظمها من الحجر الجيرى وبنيت اجزاء منها من الحجر الرملى وربما دفعنا استخدام مادتين مختلفتين فى بناء واحد الى الاعتقاد بانها ربما بنيت فى عهدين مختلفين الا



لوحة (2)
عمود من معبد السوق الشمالى

(13) C. Chiesa, op. cit., p. 3-4.
(14) G. Caputi, teateo augustao cli leptio Magna scauo Q restauro (1937-1i51) Vol. I, Monografie di aechealogia libica III (1937-1981) Valune prino, p. 17.
(15) Erneao di Miro- Graziella Fiorentouo, Leptie Magno, La Mecropali greco- puniea rtto il teatre, Quaderui di Arecbeal. della dibia, 9 (1977) 5-56.
(16) Taha Bakir, Histou cal and archaeola gi cal guide to deptis Magna, Mciuisty of Tourism and antiquities, government pres, Trifpli (1968) p. 41; A. D. Vita, Arcbaeological Neus, L. A. II (1965) 134.
(17) Hayres, op. cit., p. 85-95.
(18) J. Reynolds of ward-perkins, gnscriptois of Roma Trifolitauia (IRT) Bitih sehool st Roma (1952), Nes. 319, 321, 322, 324.
(19) Ward-perkins, pre-Roman elements in the arcbtecture of Roman Tripolitania, Libya is Mistory, p. 105.

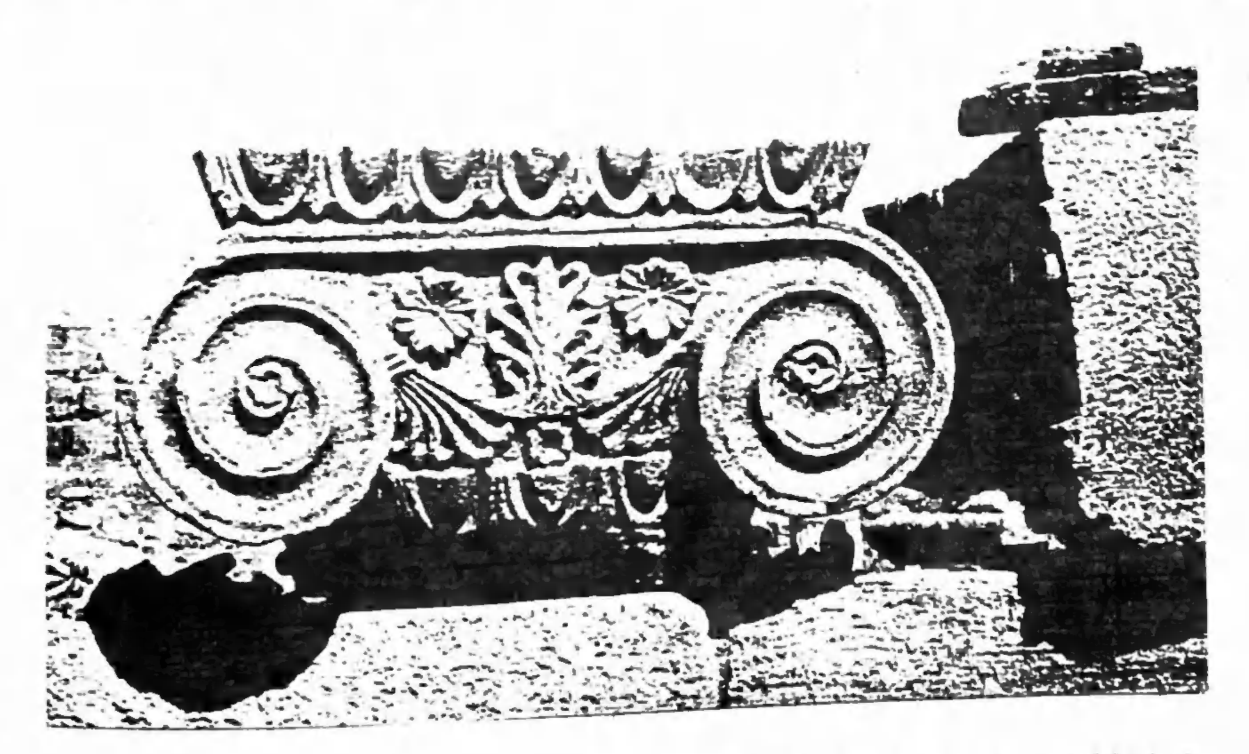
انها تتشابه فى طراز البناء الذى استخدم فى بناء اعمدتها وهذا يعنى انها بنيت فى فترة كان الطراز الايونى سائدا وهى اواخر القرن الاول ق م وبداية القرن الاول الميلادى . ينطبق هذا القول على مبنى السوق the market الذى بنى سوره من الحجر الرملى بينما بنيت اقسامه الداخلية من الحجر الجيرى ومبنى الخلكيديكوم الذى بنى من الحجر الجيرى بينما يوجد بجانبه فناء واروقة مزدوجة من الحجر الرملى[20] . ومعبد ليبر باتر الذى بنى باكمله من الحجر الرملى ولكن لماذا هذا الاختلاف فى مادة البناء . هل يعنى انها لم تكتمل فى وقت واحد ؟ فاذا كان ذلك صحيحا فأن اجزاء الحجر الرملى هى التى بنيت اولا وبكل تأكيد وربما بنيت المنشآت كاملة من الحجر الرملى ثم تهدمت فأعيد بناء الاجزاء المتهدمة من الحجر الجيرى مع الابقاء على الاجزاء التى بقيت قائمة .

ولكن مامقدار الفترة الزمنية التى تفصل بين العمليتين ؟

يشير الباحثون الى ان طراز البناء الايونى قد انتشر فى شمال افريقيا حوالى نهاية القرن الثانى وبداية القرن الاول ق م[21] ويبدو من تيجان الاعمدة الايونية فى مختلف الاماكن الاثرية فى مدينة لبدة ان الاختلاف واضح بينها من الناحية الفنية . ففى مبنى الخلكيديكوم يبدو تاج العمود من الحجر الرملى ذو زخرفة اكثر بدائية (لوحة 1) . اذا ما قورن بتاج عمود معبد السوق الشمالى (لوحة 2) وعمود يعود الى عهد مابعد اغسطس من الحجر الجيرى (لوحة 3) ويبدو اكثر رقيا منه عمود معبد روما واغسطس (لوحة 4)[22] . ان هذا الاختلاف بين العمود الاول والاعمدة الاخرى فى النقش كبير مما يدل على مرور فترة طويلة نسبيا بين عهد بناء هذه الاعمدة .

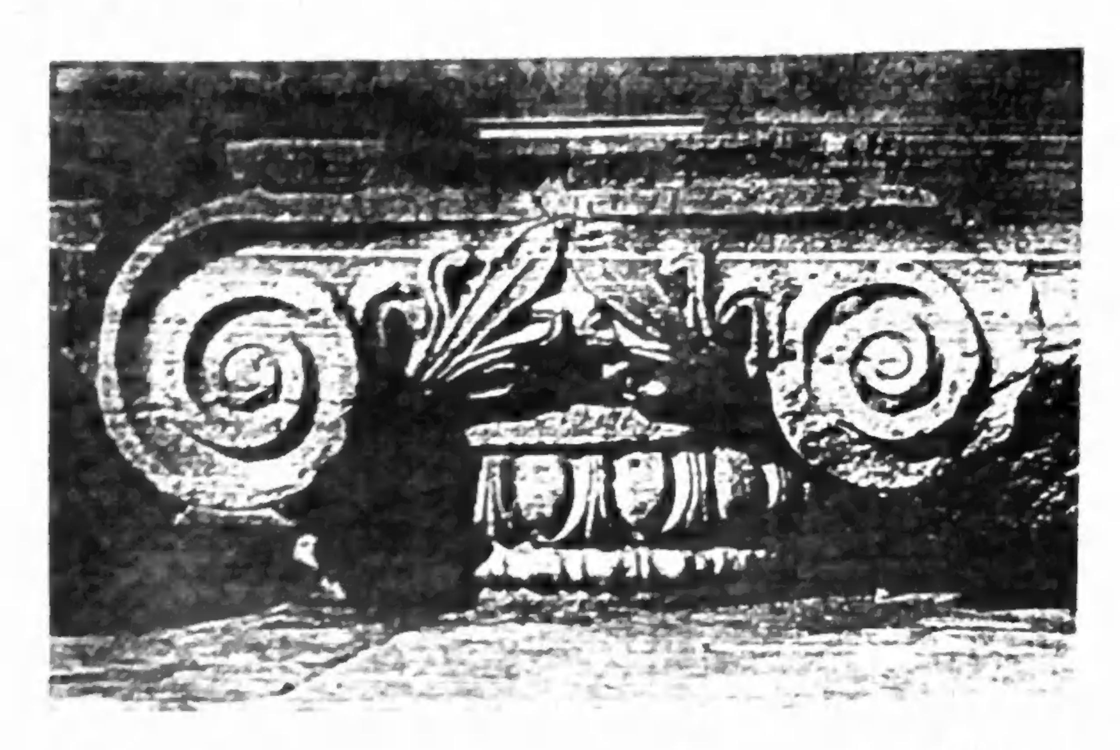
وما قيل عن تاج عمود الخلكيديكوم الرملى يمكن قوله عن تاج العمود التسكانى المصاحب له . فالاثنان ربما اقيما فى وقت واحد وفى فترة ربما لاتسبق كثيرا فترة الاحتلال الرومانى لمدينة لبدة . ومهما يكن من امر فان هذه المنشآت تدل على ان الحجر الرملى قد استخدم فى البناء مثل الحجر الجيرى . ومن الطبيعى ان تكون هناك منشآت سابقة على بناء الخلكيديكوم واقل من جودة من الناحية الفنية المعمارية .

لم تقو مبانى مدينة صبراتة الاثرية على البقاء لاعتمادها على الحجر الرملى ولم يتمكن الاثريون من الحصول الا



لوحة (3) تاج عمود من عهد الاسرة البولبية الكودية وجد بالسوق القديم

(20) Haynes, op.. cit., p. 88.
(21) G. Caprto, Spigolature ar chitettoni ci trfolitane, L. A., V (1968) 73; Ward-perkins, op. cit., p. 107.
(22) Word-perkins, op. cit., pl. I,II.



لوحة (4) تاج عمود من معبد روما وأغسطس

على نموذج واحد فقط من المنشآت المعمارية الفينيقية بعد اعادته الى وضعه الاصلى وهو المسمى بالضريح البونيقى الذى يرجع الى القرن الثانى ق م (لوحة 5)[23] . بنى الضريح على شكل مثلث ذى اضلاع مقعرة ومن الحجر الرملى . وقد استخدمت فى بنائه اعمدة من الطراز الايونى واعمدة اخرى من الطراز الايولى[24] واستخدم الحجر الرملى فى بناء هذا الضريح باعمدة من الطراز الايونى ترجع الى القرن الثانى ق م يقدم دليلا على ان هذا الطراز من الاعمدة قد استخدم فى الاقليم قبل بداية العهد الرومانى ويجعلنا نعود باذاهاننا الى العمود الايونى من الحجر الرملى فى مؤخرة مبنى الخلكيديكوم فى مدينة لبدة ويدفعنا الى المقارنة بينه وبين العمود الايونى فى الرواق المواجه لجانبى معبد لبير باتر Liber pater بمدينة صبراتة خصوصا وان هذا الرواق يشتمل ايضا على صف من الاعمدة ذات الطراز التوسكانى وكلها من الحجر الرملى المغطى بطبقة من الجبس[25] . يقدم هذا الضريح نموذجا لفن النحت الفينيقى فى هذه المدينة متمثلا فى ثلاثة اسود كل واحد على احدى زوايا المثلث وفوق اعمدة الزوايا وعلى الواجهة الرئيسية نقش بارز لاله يروض اسدين[26] . كما تقدم مدينة صبراتة نموذجا آخر من النحت البارز وهو عبارة عن نصب جنازى من الحجر الرملى عثر عليه فى منطقة المقابر حيث عثر على الضريح البونيقى وهو بذلك يرجع الى القرن الثانى ق م (لوحة 6)[27] نشير ايضا الى نصب من الحجر الرملى ربما عثر عليه فى منطقة المقابر بمدينة صبراتة ويتكون من نقش بارز لانسان محاط بمنطقة غائرة داخل اطار بارز ايضا (لوحة 7)[28] . وفى مدينة صبراتة ايضا عثر على عدد كبير من النصب الجنازية فى موقع يسمى راس المنفاخ يرجع الى فترة القرن الاول ق م والقرن الاول الميلادى[29] وهى قطع صغيرة من النحت البارز واحد

(23) A. Di Vita, Les mausol'ees punico-Hellenistiques de Sabratha, Libya in History, p. 175-180;
محمد على عيسى ، مدينة صبراتة منذ الاستيطان الفينيقى حتى الوقت الحاضر ، الادارة العامة للبحوث الاثرية والمخطوطات الاثرية ، طرابلس (٧٥ ١٩) ص 30-26 .

(24) Taha Bakir, Archaeolgical News 1965-1967, L. A., III-IV (1966-1967) 245;IIV-160 انظر ايضا النص العربى من اخبار الرية ص

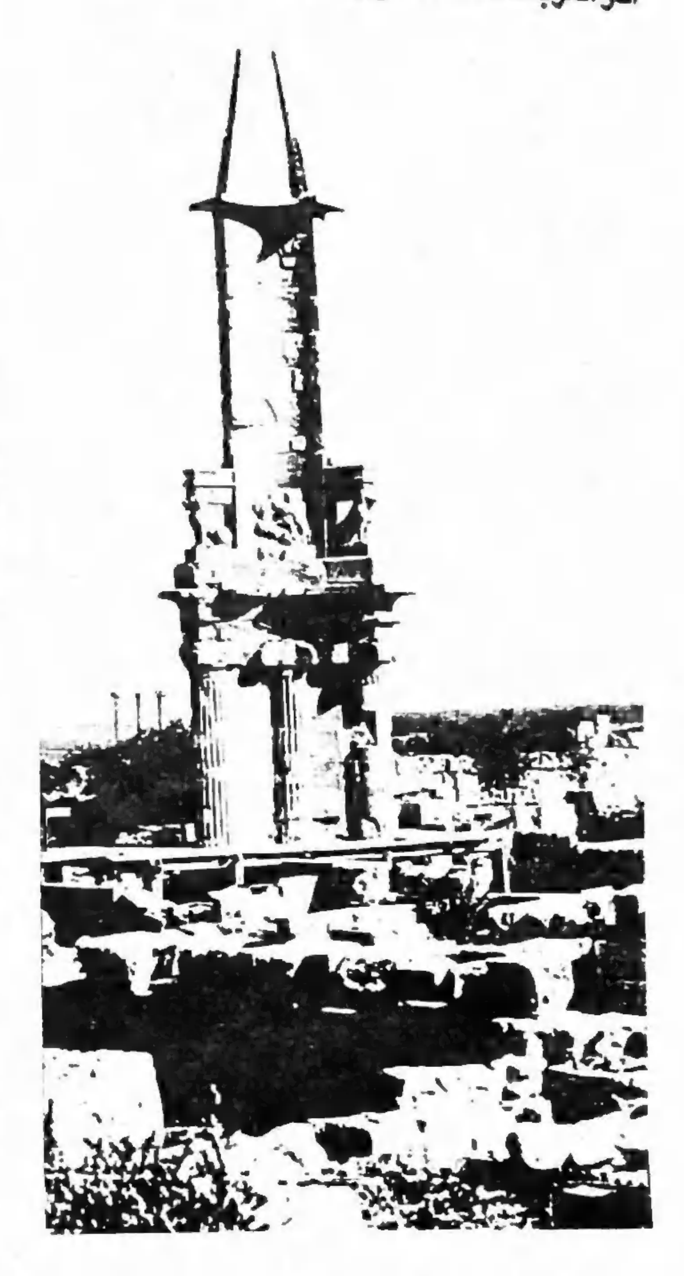
(25) Mayues, op. cit., p. 111.

(26) A. Di Vita, op. cit., p. 176-177.

(27) Anna Maria Bisi, LLna Stele Funeraria recentemente rinvenuta a Sabratha e alcune Cansiel crazioni sulla stele tardo-puniche della Tripolitania, L. A. IV (1968) 17-44.

(28) A. M. Bisi, op. cit., p. 40.

(29) L. Bressanini Tatsarelli, gl talei Neopunico di Sabratha, atti del Ist congresso prternationalnli Studi Fenici e punica, II(1983) 543-545.



لوحة (5) الضريح البونيقى - صبراتة

منها على الاقل ذو طابع هيلينستى (لوحة 8)[30] .

تشير هذه النماذج الى ان الحجر الرملى قدا استخدم فى مدينة صبراتة على نطاق واسع فى الفترة السابقة على الاحتلال الرومانى ليس فى البناء فحسب بل وفى صنع النصب الجنائزية الا ان لوحا واحدا من الحجر الجيرى يحمل نقشا كتابيا بونيقيا حديثا Neo-punic عثر عليه فى مدينة صبراتة وفى منطقة المقابر التى ترجع الى اواخر القرن الثانى وبداية القرن الاول ق م[31] ولعله الرصيد الذى قطع من هذه المادة فى مدينة صبراتة ومن المحتمل انه مجلوب من منطقة اخرى وهو يؤكد الرأى القائل باستيراد صبراتة لهذه المادة من المنطقة الجبلية الواقع جنوبها[32] او من مدينة لبدة عن طريق البحر الا ان هذا اللوح ربما يرجع الى فترة لم يستخدم فيها الحجر الجيرى بعد فى مدينة لبدة وهذا يجعلنا نرجح استيراده من المنطقة الجبلية .

وفيما يتعلق بالنصب الجنازية التى تحمل نقوشا بارزة شبيهة بتلك التى عثر عليها فى مدينة صبراتة عثر الاثريون فى مدينة لبدة على نه ب واحد منها يحمل نفس



لوحة (6) نصب من صبراتة وجد بالقرب من الضريح البونيقى

مواصفاتها ومن نفس مادتها (لوحة 9)[33] . ومن جهة اخرى فقد عثروا على رؤوس لآلهة بونيقية بالقرب من الميناء[34] واجزاء من تماثيل فى منطقة قريبة من الميناء

(30) L. B. Tabarelli, op. cit., p. 545.

(31) A. Di Vita, gscrizione punica da Sabratka, L. A. III-IV (1966-67) 9.

(32) C. Chiesa, op. cit., p. 5.

(33) A. M. Bisi. op. cit., p. 40.

(34) Baudinelli, Caffarelli e C. Caputo, Leptis Magna, Arnolol Mondadori Zolitori (1964) p. 116.




لوحة (8) نصب من صبراتة

وتضم رواقا يرجع الى عهد نيرون[35] . يظهر من طراز نحت هذه التماثيل والرؤوس انها متأثرة بالفن الهيلينستى ووجودها قريبة من بعضها وكونها من نفس الحجر وهو حجر رمادى فاتح يدعى ترافيرتيفو Travertiroso فإن الدارسين يميلون الى الاعتقاد بأنها اجزاء من نفس التماثيل[36] .

ومن خلال مكان العثور عليها ، فى منطقة ترجع الى الى عهد نيرون ، اعتقدوا بأنها ربما ترجع الى بداية القرن الاول الميلادى . ويظهر من الاثار ان هذا النوع من الحجر الرمادى قد استخدم منذ بداية العهد الرومانى فى قطع الواح النقوش المكتوبة وفى بناء معبد السوق الشمالى ومعبد روما واغسطس[37] .

هكذا نجد ان الفينيقيين وقد هاجروا الى بيئتهم الجديدة فى شمال افريقيا بغرض الاقامة الدائمة كانوا فى حاجة الى اماكن لسكناهم فبنوها مستغلين ماقدمته لهم هذه البيئة . فاستخدموا جميع مواد البناء التى وجدوها فى سواحل اقليم طرابلس . استخدموا الطين وصنعوا منه القوالب واستخدموا قطع الحجر الرملى لتقوية اساسات جدرانهم الطينية ثم قطعوا الحجر الرملى من محاجره لاستخدامه فى البناء واضطروا لحمايته بتغطيته بطبقة من الجبس . فعلوا ذلك بالجدران كما فعلوه باعمدة الحجر الرملى فى لبدة وصبراتة . ومن الحجر الرملى اقاموا الاضرحة وقطعوا النصب الجنازية ونحتوا بعض التماثيل وان كان ذلك على نطاق ضيق الا انهم لم يستخدموا الحجر الجيرى فى البناء ولا فى نحت التماثيل بل تركوا ذلك للرومان الذين جاءوا من بعدهم فاستخدمه هؤلاء على نطاق واسع بدءا من القرن الاول الميلادى .

---

(35) R. Barto cini, gl ports romano di Leptis Magna, Ball. cent. Studi per la storia dell' arcbitett., No 19 ruppl. al 1958, p. 36-37.
(36) A. Di Vita, g «pauimenta» della rilla Nell' ambito della produzione musiua di Tripolitania e di Bizaceua, rnppl. II L. A., p. 56-57.
(37) J. B. Ward-perkins, pre-Roman Zlemento, Libya in History, p. 108; irt, 321, 322, 324.